؟...

وقصص أخرى

..؟.. وقصص أخرى: قصص قصيرة
الكاتب: د.أحمد غريب
تدقيق لغوي وإخراج فني: الباشا عبدالباسط
رقم الإيداع: 13746 / 2019
الترقيم الدولي: 978 - 977 - 844 - 040 - 9

دار الزيات للنشر والتوزيع :Facebook Page
E- mail: bentelzayat1@gmail.com
Website: www.bentelzayat.tk

مجلس الإدارة / د. شاهندة الزيات
المدير العام/ أ. محمود محروس إبراهيم
01066736765 - 01011122429

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
لدار الزيات المشهرة قانونًا بسجلّ تجاريّ رقم / 49351

9 789778 440409

وقصص أخرى

الكاتب

د. أحمد غريب

دار الإيمان للنشر والتوزيع
صدق حلمك يتحقق

"هكذا أكتب!!"

نعم أنا هاوٍ صغير المقام في دنيا القلم والبيان، ولكن أردت أن آخذكم في رحلة داخل عقلي، كيف يولد الباعث الفكرة في رأسي ثم تتطور لتكون القصة القصيرة، وكيف يتحول الواقع إلى وقود الخيال... لنبدأ..

"اللقاء التلفزيوني"

أنا كاتب مبتدئ استطعت أن أنشر عملًا أدبيًّا مع دار نشر في بدايتها في عالم النشر، كان حلمي مذ كنت صغيرًا أن أكون ضيفًا في برنامج تليفزيوني يقدمه مذيع بعينه، اشتهر هذا المذيع بقدرته على استخراج أفضل ما في ضيوفه، وتسويقهم للناس، بالإضافة إلى لغته العربية الراقية، وثقافته الموسوعية التي تضفي عليه هيبة لا تنكر، واليوم تحقق هذا الحلم وذاع خبر تلك الدار الوليد التي ترعى شباب الكتاب ويقدمهم للمجتمع الأدبي، لم يفوت مذيعي المفضل الفرصة، وطلب استضافة مدير الدار مع مجموعة من الكتاب، كنت أنا على رأسهم،

استقبلنا مُعد البرنامج بحفاوة شديدة، وأعلمنا بمجلس كل واحد ومع أي "كاميرا" سيتعامل كل منا، جاء المذيع الوقور وصافحنا بتهذيب، بدأ البرنامج بمقدمة موجزة بليغة، وجاء موعد فقرتنا، أخذ يوجه أسئلته للجالسين تباعًا ولم يلتفت لي مطلقًا، يعيد توجيه الأسئلة لكل الضيوف عداي وكأنني لم أُخلق أساسًا، أخذ مصور الكاميرا الخاصة بي في التثاؤب، وعندما التقت عيني بعينه أشاح وجهه ضاحكًا، دفعت جسمي للأمام قليلًا لأجلس على حافة المقعد لعله يلحظني، لا شيء، يداعب زملائي ويحادثهم ويسمع مقطوعات من أعمالهم، وأنا لا، هذا الخنزير لا يعرف أني أكثرهم موهبة وأعلاهم قدرًا في عالم الأدب، إن هؤلاء انضممت إليهم مضطرًا، أين هم مني؟ بل أين هو مني هذا الغبي؟، هل يخيل إلي أم إنه رمقني بنظرة سريعة ثم ابتسم ساخرًا بجانب فمه؟، إنها مؤامرة، أرادوا تنكيري ليشتهر أنصاف الموهوبين، يعلمون أني إذا تكلمت لانتهى أمرهم، لا، لن أسمح بهذا، سأفسد حلقتهم، سأكسر هذه المنضدة وتلك "الكاميرات"، يعجبني هذا الرعب في أعينكم، الآن ترونني أيها الحاقدون السفلة، يستدعون الأمن ويكبلني بعنف ووحشية وأسمع المخرج يصرخ في المذياع ويقول:

"دكتور/ هشام التعلبي..عنبر 8 للأهمية المريض "....." في حالة هياج..... دكتور/ هشام التعلبي.. عنبر 8 للأهمية المريض "....." في حالة هياج!"

وأتساءل والأمن ما زال ممسكًا بي "لماذا يقول مخرج مثل هذه الكلمات؟!!". انتهت.

مما سبق أخذت من الواقع ما يلي:

- أنا كاتب مبتدئ
- أنشر مع دار نشر جديدة ترعى المواهب الشابة.
- لي طموح حقيقي في الظهور في التلفاز مع مقدم معين.

ثم أخذت هذا وصنعت كرة ثلج صغيرة وصعدت فوق جبل الجليد ودحرجتها فتولدت هذه القصة الخيالية التي لا تمثل شيئًا حقيقيًّا في مجملها.. هكذا أكتب.

❋ ❋ ❋

"القُربان"

يدخل "عبد السلام راضي" مرتعشًا إلى مكتب رئيسه المباشر، فوجده يتصفح في ملف "مناقصة توريد الأغذية"، حيث إن الشركة تمتلك فندقين عائمين في الأقصر، بمجرد تعرف "عبد السلام" على الملف بدأت نبضات قلبه في التسارع، وحبيبات العرق تنبت فوق جبهته.

- "اجلس يا "عبد السلام""

جلس وترك رئيسه يكمل القراءة، كان عبد السلام في الأربعين، هادئ الملامح، ليس له احتكاك كبير بزملائه، يشتهر بالتزامه وإخلاصه ونظافة يده، نحيف الجسم، دائمًا ما يظهر منه اهتمامه بأسرته.

أخذ يتأمل اللوحة على المكتب والتي هي عبارة عن اسم المدير "أسامة بك حديدة"، نعم بها لفظة "بك" فقد كانت هدية نفاق من زميلهم المعروف بفساده "عباس إدريس" لرئيسهم المبجل.

ابتلع "عبد السلام" لعابه ثم قال:

- " خير يا أستاذ أسامة؟"

رفع الملف أمام عينه وسأله عابسًا:

- "أتذكر هذه المناقصة؟"

- " نعم أذكرها! لقد كانت منذ عام، خيرًا؟"

- " من يملك شركة" النور" التي رست عليها المناقصة؟"

- "مدام نهى رشاد!"

ابتسم "أسامة" وقال:

- " الأستاذ "مختار خفاجة"....."

بمجرد نطقه للاسم ارتعد "عبد السلام"، تستطيع أن تقول أن "مختار خفاجة" هو رقابة إدارية خاصة بالشركة، متعته في الإيقاع بالموظفين وإيقافهم عن العمل وفضحهم لو اكتشف أي خطأ ولو كان غير مقصود.

- "الأستاذ "مختار خفاجة" أراد أن يتحرى عن هذا الملف - فجأة هكذا بعد عام!- ووجد أن الشركة مملوكة للسيدة "نهى رشاد"، والسيدة/ نهى رشاد رشاد متزوجة من الأستاذ/ عطا السيد. هل

تعرفه؟؟"، لم يجب "عبد السلام " فأكمل "أسامة": "و الأستاذ "عطا" هو ابن خالة السيدة/ "إحسان حسن الفولي". " ثم مال للأمام ليقترب بوجهه من "عبد السلام" وأضاف "هل تعرفها؟. لن أرضى بسكوتك هذه المرة".

فأجاب بصوت خفيض يكاد لا يُسمع "هي والدتي!"

أعاد "أسامة" ظهره إلى الوراء وسأله "كم أخذت؟ أم كنت شريكًا بنسبة؟"

- "والله ما أخذت شيئًا، لقد كان موشكًا على الإفلاس وكنت أنقذه من الفضيحة، والل..."، فجأة فُتح باب المكتب ودخلت زوجة "عبد السلام "عليهما وهي ترتدي ملابس البيت وممسكة بملعقة كبيرة ومعها ولداه محمد وأحمد، استغرب "عبد السلام" عدم منطقية الموقف وأحس بالحيرة، ثم استيقظ في عرق بارد بسبب هذا الكابوس المتكرر وإن كان بأشكال مختلفة على مدار عام كامل.

على مكتبه منكب "عبد السلام" كعادته يتابع عمله المحاسبي لكنه يشعر بزميله "يونس عليوة" أو الشيخ يونس كما يحبون مناداته رغم أنه

غير ملتحٍ، ولكن التزامه وتقواه انتزعا من أفواه الناس وقلوبهم هذا اللقب، يشعر به وهو يعود لمكتبه من عند "أسامة حديدة".

- " ما الأخبار يا شيخ؟"

- "مناقصة أغذية جديدة!"

تهللت أسارير "عبد السلام" وسأل:

- "صحيح؟؟"

- "نعم... ولا أعرف لماذا، شركة "النور" ممتازة، فليجددوا العقد " ثم هز كتفيه وقال "أوامرك يا حديدة بك".

كان "عبد السلام" سعيدًا بهذا الخبر، فهو يعني انتهاء العملية السابقة التي أرَّقته عامًا كاملًا وكانت نقطة سوداء وحيدة في حياته سينساها أو يتناساها وبدء مناقصة جديدة نظيفة.

يعلو صوت جرس الباب في بيت "عبد السلام" معلنًا مقدم أحدهم فيسأل الأخير زوجته:

- " هل طلبت شيئًا من البواب؟"

- " لا.. أبدًا"

يقوم متثاقلًا ويفتح الباب فينقبض قلبه إذ القادم هو "عطا السيد" محملًا بصناديق الهدايا، مبتسمًا ابتسامة بثقل الجبل.

- " أهلًا "عطا ".. اتفضل"

- "خالو "عطا" من فضلك"

دعابة سمجة اعتاد "عطا السيد" ترديدها، فهو ابن خالة أم "عبد السلام"؛ لذلك هو في مقام الخال.

جلس "عطا" وداعب ابني "عبد السلام" وأعطاهما هداياهما الباهظة الثمن.

- "خير يا "عطا"؟!" قالها "عبد السلام" بجفاء.

وضع "عطا" كوب "النسكافيه" وأجاب:

- "خير طبعًا.... عقدي انتهى مع شركتكم، وسمعت عن مناقصة جديدة"

- "ثم؟"

- "نفعل ما فعلناه المناقصة الماضية، مع وعدي بالالتزام بنفس جودة الخدمة، وأنت تعلم أن خدماتنا حازت على إعجاب الجميع"

- ""عطا"... ما حدث لن يتكرر، لقد فعلت ما فعلت لإنقاذك من الإفلاس، ولولا نسيان يونس لغلق درج مكتبه ما استطعت أن آتي لك بالمعلومات التي ساعدتك، انسَ ما حدث، فهو لن يتكرر"

أخذ "عطا" يداعب هاتفه ثم أعطاه لـ "عبد السلام" فإذا بفيديو يظهر "عبد السلام" وهو يسلم "عطا" الملف المحتوي على المستندات التي مهدت له الطريق في المناقصة السابقة.

- "يا ابن الـ....." قالها "عبد السلام" وقد استشاط غضبًا.

- "اهدأ، حتى لا تعلم أولادك البذاءة، هاه؟ لنعد الكرَّة أم تمسي مرتشيًا مفضوحًا؟؟"

- "أولًا.. هذا يدينك أيضًا، ثانيًا.. أنا لم أتقاض منك مليمًا، كنت أنقذك أيها الندل"

- "بالنسبة لـ"أولًا"، لا بأس أنا تكسبت كثيرًا في العام الفائت، وعندي محامون جهابذة، سأستمر في عملي حتى لو سُجنت، أما أنت فستموت أسرتك جوعًا، وبالنسبة لـ "ثانيًا"، كنت اتفقت مع ابنة خالتي -أمك- أن أساعدك من خلالها بسبب ظروفك القاسية؛ كي لا

تُحرج؛ نعم!! كل ما كنت تسحبه بالـ ATMمن حساب والدتك هي أموال وضعتها بنفسي، بشكل شهري ومبلغ ثابت -ألفين من الجنيهات- وما أسهل الربط عند النيابة في تحقيقاتها، وبالمناسبة أنا فعلًا ندل، فكر... ليس في القبول أو الرفض، بل كيف ستأتيني بالمعلومات التي أحتاجها" وترك "عبد السلام" مكمم الفم، مكبل العقل وانصرف.

لاحظ جميع من في المكتب حال "عبد السلام" وأخذوا يحومون حوله استكشافًا لعلة هذا الشرود الملفت، لكنه كان يتعلل بعلات يدركون كذبها، ويدرك هو إدراكهم.

ظل يراقب "يونس عليوة" الذي أصبح عقله في غاية التوقد، فلم ينس قط درج مكتبه مفتوحًا، كان يغلقه بالمفتاح كلما ترك المكتب، ظل "عبد السلام" يبحث عن حل للخروج من ورطته فلم يجد، ثم طرأت له فكرة غريبة، لا يعرف كيف جاءته، قام من فوره وذهب إلى "عباس إدريس" في مكتبه.

- "صباح الخير... يا عباس"

- "عبد السلام بك راضي شخصيًّا، مُرني"

- "أريد لقاءك، بعد العمل على مقهى "الوادي""".

كان يتكلم بطريقة آلية وبوجه خلا من المشاعر مما جعل "عباس إدريس " يجيبه ببطء وشك:

- "حسنٌ، لا بأس، لكن الغداء على حسابك"

- "اتفقنا!"

كان "عباس إدريس" شابًّا وسيمًا، شديد بياض الوجه، شديد سواد الشعر، له لحية صغيرة التي تُسمَّى "دوجلاس" فاحمة، أكسبته جاذبية جعلته هدف كل أنثى بلا زوج في الشركة.

- "أنت فاسد ومرتشي "قالها "عبد السلام" في محاولة لإحداث صدمة لصاحبه كي يتحكم في دفة اللقاء.

- "هل أتيت بي لتخبرني بذلك؟" وقالها "عباس" وهم بالقيام، فأمسك به "عبد السلام" وأجلسه.

- "انتظر!، أنا فسدت مرة بحسن نية والله، ولكن لا أريد أن أستمر، أريد غسل يدي"

- " ولم تلجأ لي؟"

- " لأنك خبير فساد، "مختار خفاجة" أصر ألا يراجع عملك أحد غيره ليوقع بك وفشل، إنه يبقيك في العمل من منطلق التحدي، ولكنك منتصر دائمًا".

- "حسنٌ... سؤالي الآن التالي: لماذا أساعدك؟"

- "أنا أشرف من في الشركة بعد "يونس عليوة" طبعًا، أنا الذي أنظر لك بتكبر واستعلاء، فرصة أن تصبح لك يد عليَّ"

عرض الأمر كأنه صفقة رابحة لا يوجد فيها مخاطرة من قبل "عباس إدريس"، مما جعل الأخير يفكر قليلًا، ثم نادى فتى القهوة:

"كوبين قهوة مضبوطين" ثم نظر لـ"عبد السلام" يستعلم موافقته على الطلب فأماء له موافقًا، ثم قال:

- "احكِ يا عبده"

استمع "عباس" لقصة صاحبه بتركيز شديد، وعند انتهائه قال وهو يشرب آخر نقطة في قهوته:

"عفريت هذا الـ"عطا""

- "أنت دائمًا تنجو، وفشل "مختار خفاجة" في الإيقاع بك. أعتقد أنك يمكنك مساعدتي"

- " ممكن إذا صدقتني"

- " ماذا سنفعل؟؟"

مال إلى الأمام وهمس كي لا يسمعه أحد:

- "في هذه الحالات أسخر جنيًّا عظيمًا لمساعدتي"

رد عليه "عبد السلام" بلفظة نابية

استكمل "عباس" كأنه لم يسمعه:

- "سيتصرف سيدي "الأسود"، وهذا هو اسم الجني ويمحو أي رابط بينك وبين القضية"

- "أتتحامق يا ابن الـ...؟"

- "لا يوجد سرقة في العملية، أنا الذي أحضِّره بنفسي، لكنك يجب أن تقدم قربانًا له، هذا القربان ستشتعل فيه النيران أمامك لن آخذ منه شيئًا".

ظل عبد السلام محملقًا فيه غير مصدق بما يسمع، و"عباس" صارت ملامحه شيطانية جامدة، ينظر في عيني "عبد السلام" في ثبات مخيف، ظلَّا ينظران لبعضهما لوقت طويل، كأن تلك النظرات حوار

تكذيب من "عبد السلام" وإقناع من "عباس"، طأطأ الأول رأسه وسأل في استكانة:

- "ما هو القربان؟"

لانت ملامح "عباس " وقال:

- "قطعة ذهب مسروقة، دموع مظلوم -اجعل أحدهم يبكي من ظُلمك- وآخر شيء تلبية الدعوة إذا دعاك سيدي الأسود لأي جلسة تحضير"

- "حسنٌ، موافق!"

بعد اللقاء بعشرة أيام في الحادية عشرة مساء كان "عبد السلام" مستقلًّا سيارة أجرة ومتجهًا لمكان جلسة تحضير السيد الأسود، كان يتحسس في جيبه قلادة أمه الذهبية التي سرقها أثناء زيارته وزوجته الأخيرة مع الأولاد، ويتذكر حيرتها وحزنها على فقدانها، وتشككها في كل الناس إلا هو وأسرته، واستشارًا لهذا الموقف اتهم زوجته بسرقة القلادة -وبالغ في ضربها للاعتراف- ففاضت دموعها قهرًا وهي تغلِّظ الأيمان ما استطاعت لتبرئة نفسها فاطمأنت نفسه لتحقيق القربان.

طرق الباب ففتح له "عباس" مرتديًا عباءة بيضاء مفتوحة، تحتها قفطان أسود وعلى كتفه غترة سوداء، قال "عباس" بجديَّة:

- " تعال"

دخل الضيف الجديد ليجد صالة بلا أثاث إلا من شمعدانات موزعة على الأرض تضيء المكان بالشموع بشكل رآه مبتذلًا، ومائدة مستديرة كبيرة حولها عشرة مقاعد، ثمانية مشغولون واثنان متقابلان فارغان، علم أنهما له ولعباس، الثمانية يلبسون نفس ملابس "عباس" لكنهم أسدلوا على رءوسهم الغترة السوداء فلم تبد ملامحهم، فاستنتج أنه بمجرد التزامه بتلك الجلسات سيستلم زيًّا مماثلًا، كانوا مطأطئين رءوسهم في خشوع، جلس "عباس" على مقعد فجلس "عبد السلام" على الآخَر، غطى المُضيف رأسه مثل البقية، قام "عبد السلام" بوضع قربانه وسط المائدة، ثم أمسك الجميع بأيدي بعضهم بما فيهم "عبد السلام" وبدأ عباس بالترنُّم:

"يا أيها السيد الأسود

راعينا المتفاني في الحماية

نحن الدائبين على طلب حضرتك"

شعر عبد السلام بنسمات من الهواء الساخن تطوف في الغرفة.

"أنعم علينا بحضورك لنمنحك قربان المحبين"

نظرت عين "عبد السلام" لقلادة والدته بشكل لا إرادي، وتذكر دموع زوجته، واشتد الهواء الساخن حتى أصبح رياحًا تجوب الصالة.

"هذا قربان حيٌّ لسيدنا الحي، فأقدم واقبله"

تساءل "عبد السلام "في عقله

"حيٌّ؟ ماذا يقصد"

حاول نزع يديه من اللذَين يمسكان بهما لكنهما كانا قويين كالجحيم، أخذ يحاول ويصرخ ولكن كأنه فقد صوته، اشتدت الرياح الساخنة كثيرًا فطارت الغُترات، كانت عيون القاعدين بيضاء ووجوههم متشنجة، تعرف على بعض منهم، تعرف على الذي دعاه أولًا لفعلته "عطا السيد" والذي سهل له الحصول على المستندات، وترك

مكتبه بدون إغلاقه "يونس عليوة"، والذي يراجع عمل "عباس" بنفسه لا للإيقاع به بل لحمايته "مختار خفاجة"، والبك "أسامة حديدة"، بدأت دوامة من نار تتكون في وسط المائدة، وأخذت تزداد وتزداد، وتصاعد دخان أسود تشكل على شكل شيطاني، أخذ الدخان يقترب من عبد السلام حتى أحاط به تمامًا ثم اقتلعه من مقعده وعاد إلى دوامة النار واختفيا...." السيد الأسود" وقربانه الحي.

❋ ❋ ❋

"الطيف"

في "فيلا" من "فيلات" حي "...." الراقي -تلك الأحياء التي يسكنها ذوو الدم الأزرق؛ ليتجنبوا رؤية مصابي فقر الدم- تستيقظ السيدة/ سامية كامل ذات الخمسين عامًا وتفتح عينيها في صحوة مفاجئة، كأنها لم تكن نائمة منذ ثوان معدودات، تقوم من فراشها متبعة طقوسها الصباحية اليومية لينتهي بها المطاف على منضدة الطعام مرتدية بدلة كحلية أنيقة، وشعرها النحاسي الناعم القصير لا يكاد يصل إلى الكتفين، توضع أمامها أطباق الإفطار بأيدي خادمة ترتعش ليس من هرمٍ وإنما من خوف من أي خطأ أمام السيدة التي لا ترحم.

- أين أيمن؟

دون التفات سألت خادمتها التي أجابتها متلعثمة:

- آتٍ يا سيدتي!

ثم هرولت هاربة.

بمجرد اختفاء الخادمة ظهر "أيمن"، شابٌّ جامعي في العشرين يرتدي عوينات أنيقة، يقترب ويجلس مع والدته الطاغية على منضدة

الطعام في وجل، جلس يأكل بعدما قال "صباح الخير" بخفوت، لم يكن يحاول أن ينظر لوالدته حتى.

قالت وهي ترشف "النسكافيه" وتنظر له بوجه حجري:

– اتصل بي مهندس الديكور بخصوص "فيلا" الساحل وسأقابله بعد عدة أيام لأخبره بالديكور الذي أريده.

أجاب وهو يدفن وجهه في طبقه:

– تمام.

– بعد كليتك ستذهب لتقابل " تامر" ابن خالتك لتلعبا التنس.

– تمام.

– سيمر عليك "إيهاب" السائق ليعيدك للبيت.

– تمام.

– وإياك والطعام السريع، ستأكل هنا، فاهم يا "علي"؟

– حاضر، ولكن...

قاطعته في توعد:

– ماذا تريد؟

– اسمي "أيمن ".

انتبهت لخطئها في اسم ابنها وأشارت بيدها بعدم اكتراث.

- أمي!

- نعم؟!

- أريد أن أنقل بعض حاجياتي للغرفة الفارغة في الفيلا فإن...

- لا، بلا نقاش، أريدها فارغة.

- ولكن يا أمي...

- قلت: بلا نقاش، هيا حتى لا نتأخر.

خرجا سويًّا واتجها إلى سيارتهما الفارهة التي يقودها السائق "إيهاب تكلا" الذي فتح لها باب السيارة بطريقة آلية، شعرت بتلكؤ ابنها خلفها فالتفتت فإذا به منهمك بمتابعة "ليلى مندور" ذات الثمانية عشر عامًا وهي تتريض بدراجتها في ممر الدراجات حول الفيلات كعادتها الصباحية "فتاة رقيعة" هكذا فكرت "سامية" "نعم هي جميلة وعائلتها ثرية، وقد تحدثت إليَّ مرة ووجدتها لا تخلو من ذكاء، لكنها رقيعة، لا تعجبني "ثم التفتت إلى ابنها تحثُّه "هيا!"

جلست مع ابنها في الخلف، تتابع الشارع من نافذة السيارة، هي "سامية كامل أنس" الابنة الوحيدة لأحد حيتان الأراضي والمقاولات

الذي كتب باسمها كل ما يملك حتى لا يشاركها أحد في أي شيء مما ترك، ورباها كي تحافظ على ثروتها، لكن هذا الأب لم يكتف بهذا، فزوَّجها قبل موته لرجل الأعمال "عبد اللطيف حساب" رجل الاستيراد والتصدير الذي يكبرها بخمسة عشر عامًا، دام الزواج عشر سنوات مثمرًا "أيمن"، ثم مات "عبد اللطيف" فجأة، لكنها كانت مُعدة إعدادًا جيدًا للموقف؛ فهي سيدة أعمال فذة ابنة رجل أعمال ثعلب، فتلقفت ما ورثته هي وابنها من زوجها وأضافته لما لديها لتصنع امبراطورية في هدوء وقوة شخصية يتحدث عنها الجميع، لكن كل ما كان يشغلها وهي في السيارة شيءآخر... من "علي" هذا الذي دعت ابنها باسمه؟.

تذهب السيدة "سامية" في الحادية عشرة مساء للنوم كالمعتاد، لا تسمح لنفسها بدخول الفراش منهكة، يجب أن تكون قوية حتى وهي ذاهبة للنوم، تستلقي على ظهرها فوق الفراش، وتغلق عينيها للنوم...

ترى نفسها تمشي في فضاء مظلم، ويخرج من جسمها ضوء خافت فقط يضيء مسافة خطوة واحدة للأمام.

أخذت تسأل نفسها:

"أنا أحلم؟ لم يحدث هذا إلا مرات محدودة في حياتي؟... لكني واعية تمامًا!!"

تحسست خطواتها مسترشدة بهالتها ضعيفة الضوء، وقد بدأ الملل يغزو روحها متمنية الاستيقاظ من ذلك الحلم العجيب، وإذا بها ترى مصباحًا باهر الضوء يحمله ما يبدو كإنسان قادم من بعيد، أخذت تتأمل في القادم وتقترب منه ببطء، كان الضوء الباهر يحجب النصف العلوي من المقترب الغامض، فنظرت لنصفه السفلي فأدركت أنه يلبس أسمالًا بالية وطالت أظافره وتشققت قدمه المغطاة بالأوساخ والقَذَر، لقد خافت، تملك منها الخوف كما لم يحدث من قبل، "إذن هو كابوس!" هكذا فكرت وبدأت في الجري في الظلام حتى سقطت واستيقظت.

- "مالك؟"

سألت "شيماء كامل" أختها الصغرى، كانتا جالستين في بيت أبويهما المتوفيين يتصفحان الصور القديمة في ألبومات حبيسة أدراج لم يدخلها هواء منذ أعوام.

- "لا شيء!، فقط أردت مطالعة الصور القديمة معًا!"

- "لا تناوري، لقد تركت "تامر" وأباه يتغذيان وحدهما لأكون معك، هل ما زال الكابوس يتكرر؟!".

أغلقت "سامية" ألبوم الصور واضعة سبابتها لتحافظ على الصفحة، ثم أغمضت عينيها لثوانٍ وقد أرجعت رأسها للوراء، وأجابت:

- "نعم... يوميًّا تقريبًا، والأمرُّ هو مناداتي للكثيرين باسم "علي" خطأً، من "علي" هذا؟" أنهت عبارتها وتابعت مطالعة الصور بشغف لا تدرك منبته.

- "أكيد إرهاق، يجب أن تري طبيبًا نفسيًّا، هل تسمعين؟"

لم تجب فقد كانت تحملق في إحدى الصور وقالت:

- "شيماء! انظري!"

نظرت شيماء للصورة وتساءلت في بلاهة:

- " ماذا؟!"

أجابتها "سامية" في انفعال واضح:

"هذه الصورة أذكرها جيدًا.. كانت قبل ولادة "أيمن" ببضعة أعوام، انظري إلى بطني، أبدو كأني حبلى، كيف هذا؟؟"

- "ربما خانتك ذاكرتك في تحديد زمن الصورة، وربما أنك لم تكوني حبلى وهذه زيادة وزن"

- " لا، أنا أشعر أني حبلى"

- "تشعرين أنك حبلى في الصورة؟!" ثم أمسكت "شيماء" بهاتفها.

- "ماذا تفعلين؟" سألت "سامية".

- "سأبحث لك عن طبيب نفسي بارع" أجابتها "شيماء" دون أن تلتفت إليها.

في حضرة دكتور "شريف مصباح" الحاصل حديثًا على شهادة الدكتوراة من خارج البلاد جلست "سامية" متسارعة الأنفاس بعد أن حكت له ما يحدث لها.

نظر الدكتور إلى الصورة الفوتوغرافية بين يديه ثم نظر إليها:

- بغضِّ النظر عن الصورة الغير واضحة، والتي لا تمثل شيئًا، لماذا لم تحاولي الربط بين اسم "علي" والطيف؟ لن أسألك بالطبع عن الذين يدعون "علي" في حياتك فبالتأكيد فكرت في هذا.

- هل تعتقد أن هذا الطيف اسمه "علي"؟

- أعتقد أنك من سميته "علي"، أنت من صنع هذا الطيف.

- "ثم؟" قالتها بتململ.

التقط دفتر"الروشتات" ثم كتب بعض الأدوية، وقال:

- "التزمي بتلك الأدوية ولا تلقي بالًا لخطئك في الأسماء، وإذا رأيت هذا الطيف، واجهيه" ثم نظر في عينيها "ألستِ قوية؟؟"

أجابت وقد رفعت أنفها عاليًا:

- "بالتأكيد!"

كانت في المكان المتكرر لظهور الطيف في كوابيسها، تشددت في نفسها رغم ما يختمرها من خوف، ثم ظهر وأخذ يقترب منها، لم تهرب وبقيت منتظرة إياه، تفرست فيه أثناء اقترابه، كان إنسانًا قذرًا مغطى بالأوساخ، رداؤه لم يكن أسمالًا بل عباء تشبه عباء أهل اليونان القديمة يستر بها ما يجب ستره.

عندما أصبح أقرب من ذراع نطق بأول كلمة تسمعها منه:

- "أماه"

أفزعتها الكلمة، تمعَّنت في ملامحه المغطاة بالأوساخ، لم يكن "أيمن" بالتأكيد.

- "من أنت؟" سألته في حذر.

- "علي.. ابنك"

- "ليس لي ولد بهذا الاسم"

- "أنسيتني؟... لم أتوقع هذا؟ كنت أتوقع تلهفًا وشوقًا منك بعدما وجدت نفسي في هذا الفضاء الأسود هائمًا كورقة خريف"

- "أنا لا أعرفك، ولا أفهم كلامك!"

قال بهدوء آلي:

- "أنا ابنك الأكبر، نشأت أنا و"أيمن" أخي في ظل طغيانك وسيطرتك المريضة، حتى أصبحنا كأنا لسنا موجودين أصلًا، تختارين أصدقاءنا، وتحددين أماكن خروجنا ومواعيدها ومع من، بل وماذا نشرب ونأكل، ألغيت شخصيتينا تمامًا، هكذا كبرت أنا وأخي الأصغر "أيمن"، ولكن بدأت أختفي ماديًّا أيضًا، بدأ الأمر بسقوط الأشياء من يدي، ظننت الأمر توترًا وإرهاقًا في أعصابي الطرفية، لكنه كان اختفاءً

لحظيًّا لكينونتي المادية، كذلك كنت أكلم الناس ولا يجيبون وأظنهم معرضين، ولكن يبدو أن الأمر كان إرهاصًا باختفاء كامل، وإذا بي أجد نفسي هنا، طيفًا في فراغ أسود لا أشعر بجوع أو عطش، ولا بفرح أو حزن، أحيا في هيام لا أعرف له نهاية".

اقتربت "سامية" منه بهدوء، وأخذت تمسح وجهه وجسمه بيدها بحنو، أخذت الأوساخ تتساقط عن جسمه كأوراق الخريف الذابلة، حتى صار نظيفًا تمامًا، نظرت إليه فإذا هو شاب نظيف وسيم يشبه "أيمن" كثيرًا، فعلًا يبدو كأخ له.

كان دكتور "شريف مصباح" ينظر لـ"سامية" بتركيز شديد أثناء حكايتها لحلمها العجيب ثم تحدث:

- "سامية هانم.. يبدو طبيعة الأمومة تمردت على طريقة معاملتك لابنك "أيمن"، فاختَلَقَتْ هذه القصة والأحداث والطيف؛ ردعًا لك عن الاستمرار في هذا الأسلوب.

- "توصلت إلى استنتاجك هذا" ثم هزت رأسها في أسىً وأضافت "لكن الكارثة أني أصدقه، وأكثر ما يؤلمني أني أريد أن أتذكره ولا أستطيع"

ظل دكتور "شريف" صامتًا وقد رقَّ لها ثم قال:

- "سيدتي إن التفسير الماورائي لما تقولينه هو أن طغيان شخصيتك لم يمح شخصية علي معنويًّا فقط، بل تطور الأمر إلى محوه ماديًّا أيضًا ونقله إلى بعد آخر، ولكن ذلك مستحيل الحدوث، ولو كان اعتقادك يقويه وجود غرفة فارغة بلا مبرر في مسكنك، فأين ذهب أثاثها هل كانت شخصيتك قوية على الأثاث فأخفيته أيضًا؟ مستحيل، وكيف تمحين ذكراه من عقول وقلوب الخلق؟، ما احترامي... أنت بهذا تعظمين نفسك كثيرا!"

- "ماذا ترى أن أفعل؟"

- "عليك بـ "إيمن".. عوضيه حنانًا وعطفًا، أبقيه ظاهرًا، لا تخفيه يا هانم".

نزلت "سامية" من عيادة الطبيب وركبت سيارتها التي يقودها "إيهاب تكلا" وقد قررت أن تجعل تصاميم الفيلا الجديدة اختصاص "أيمن"، يفعل ما يحلو له، لماذا لا تسهل له مقابلة "ليلى مندور"؟ إنها تعجبه وهو شاب وسيم سيعجبها بالتأكيد، لا يعوزهم المال، ستخطبها

له إذا أراد، ثم خطر لها خاطر عجيب، لقد رسخ يقين في قلبها أن هذا الطيف لن يزورها ثانية، وتساءلت: لو هناك احتمال واحد في المليون أن كلام الطيف حقيقي، هل تكون بهذا قد قتلت ابنها؟؟؟.

نظر "إيهاب تكلا" في مرآته مراقبًا الطريق فرأى مشهدًا جعله -وهو الذي لم يزر الكنيسة منذ سنوات- يرسم الصليب بيده، لقد رأى في المرآة السيدة "سامية كامل أنس" تبكي.

"الترام"

على محطة ترام "....." في الإسكندرية ينتظر"هادي إبراهيم" طالب السنة النهائية بكلية التجارة، الأسمر، فاحم الشعر ناعمه، يرتدي ملابس تقليدية -قميصًا قطنيًّا وبنطالًا من القماش- فكان مع وجهه الوسيم لوحة تمثل الأناقة ولكنها أناقة قد درست منذ عشرين عامًا أو يزيد، كم من مرة سخر منه "أحمد عبد اللطيف" صديقه -الذي ينادونه "لطيفة" استقاء من اسم أبيه وأيضًا لكثرة مزاحه- وكان يحثه على تغيير ذوق ثيابه، لكن "هادي" كان متمسكًا بسمته في انتقاء ملابسه، أخذ يبحث بعينيه عن شخص ما في الأفق حتى وقعت عيناه على "أحمد عبد اللطيف" قادمًا من بعيد، كان "أحمد عبد اللطيف" طالب معهد الحاسب الآلي، نحيفًا، طويل العنق، بارز الحنجرة، له نظرة حادة ساخرة تنذرك بالويل من مزاح ثقيل، فمه عريض مخلوق على شكل ابتسامة، على رأسه قبعة رياضية لا تغادرها صيفًا أو شتاء.

اقترب "أحمد عبد اللطيف" من هادي فتصافحا وتبادلا القبلات.

- هدهد....!

- لطيفة...!!، لم تأخرت؟

- لم يأت أحد بعد... إذن لم أتأخر؟!.

- هل كلمت علاء؟!

- الدكتور؟! نعم سيأتي بسيارته.. مصطفى أخوه سيأتي معه.

- نعم؟! مصطفى سيأتي؟؟ لقد كلمني حسين وأخبرني بمقدم "مرتضى سالم" معه.

- ولم سيأتي مرتضى ابن السخيفة هذا؟!

- تطفل عليه عندما سمعه يكلمني.

تأفف "أحمد عبد اللطيف" وهو يعدل من وضع قبعته الرياضية وقال:

- ما الحل؟! السيارة لن تكفي ستة أفراد؟.. ها قد أتى "حسين" وابن السخيفة، ورحمة أمي التي لم تمت لأجعلنه مسخرة هذا اللقاء.

لم يعلق "هادي" فقد كان يكره "مرتضى" هو الآخر.

انضم "حسين" ابن كفر الشيخ الخلوق نزيل المدينة الجامعية وصاحبه و"بلدياته" "مرتضى" وأخذوا يتناقشون في حل المعضلة.

قال "مرتضى" -وهو شاب أسمر اللون يعلو وجهه النمش وله نظرة بلهاء-:

- وما الذي جعل مصطفى هذا يأتي؟

نظر له "أحمد عبد اللطيف" بكراهية واضحة وأجاب:

- إنه أخو صاحب السيارة، لم يأت تطفلًا، وللعلم هو طالب في كلية الشرطة، لو علم أنك تتحدث عنه هكذا سينفخك كالبالون.

لم يتأثر "مرتضى" بكلام "أحمد" وظل متمسكًا بنظرته البلهاء.

أطرق "هادي" قليلًا، ثم قال:

- المفترض أننا سنأكل في مطعم "....." ثم نقرر ماذا نفعل، أنا لا يستهويني هذا المطعم، سأشتري بعض الشطائر من هنا وأركب "الترام" حتى محطة الرمل..

فقاطعه "حسين" -وهو شاب عظيم البطن حتى أن "أحمد" يقول له دائمًا: "كأنك ولدت متزوجًا" إشارة إلى أن شكل جسمه يشبه أجسام المتزوجين- قاطعه حسين قائلًا:

- الترام يا ظالم أتريد أن تصل غدًا

- لا غدًا ولا يحزنون، لم أركب الترام منذ أعوام لعلي أجدد ذكريات الثانوية، فرق الوقت ستكونون قد سبقتموني بالسيارة وأكلتم وأنا أصل على بداية التحرك".

ولم ينتظر رأيهم وذهب وابتاع بعض الشطائر وعاد للمحطة، وبمجرد وصوله سمع صافرة الترام تحدو الدودة الحديدية العملاقة، قال لهم:

- سأركب الآن توفيرًا للوقت.

أجابه "حسين":

- "علاء " اتصل، وقد طلب أن نقابله عند التقاطع.

- جميل.. أفهموه الموقف.

وانتظر الترام حتى توقف ثم قفز فيه ونظر إلى رفاقه وهم يبتعدون قاصدين التقاطع.

دلف إلى الترام لم يكن مزدحمًا كما اعتاد أن يكون في أيام الدراسة الثانوية، يبدو أن الجميع أصبح يفضل المواصلات السريعة. وجد مقعدًا بجوار النافذة وجلس، فتح كيس الشطائر وأخذ واحدة، نظر أمامه فإذا

بفتاة تجلس واضعة يدها على خدها، ناظرة من النافذة وعقلها في مكان آخر، كان لها خدان متوردان، وعين غزلانية حوراء، وبشرة سمراء، رآها مليحة، هكذا فكر، كأن كلمة مليحة خلقت من أجلها، ليست بذات جمال مبهر، لكنها ذات جمال ودود يؤلف القلب ويروي ظمأ الروح، أغمضت عينيها كأنها تتذكر حلمًا مزعجًا، وعندما فتحتهما كاد أن يسمع صراخ العَبرة الحبيسة في غياهب الجفون تريد أن تتحرر.

تساءل "هادي " في داخله:

"أي وغد يغضب هذا الملاك؟ نعم... لا بد من وغد ما"

سمع من هاتفها المحمول رنة تعلن رسالة واتس آب، أخذ يتابعها وهو يقضم من أحد شطائره العديدة، قرأت الرسالة بغضب بادٍ في عينيها وبدأت في كتابة الرد بأصابع ترتعد من وطأة الانفعال، سمع رنة أخرى، قرأت الفتاة الرسالة وأخذت تنظر لشاشة الهاتف في ثبات لثوان طويلة، ثم بدأت في كتابة الرد، أخذت تتبادل الرسائل وكانت عصبيتها تهدأ، ثم قرأت وإذا بها تنظر من النافذة يمينًا ويسارًا لتعرف في أي محطة نحن، نظرت لهادي وسألته بصوت أطربه:

- "أين نحن؟؟"

- سنصل محطة ".....".

كتبت بسرعة على "الواتس" ثم قامت تضع حقيبتها على كتفها واتجهت لباب عربة الترام ونزلت في المحطة، و"هادي" يتابعها بقلب عشق وانفطر في دقائق.

استمر "هادي" يتصفح الوجوه ويقضم من شطائره بتؤدة ليشغل وقت رحلته الطويلة، وفي إحدى المحطات وجد يدًا متورمة تمتد من خارج "الترام" لتتشبث بالعمود الحديدي وتصعد امرأة ستينية بدينة للغاية، اضطرت أن تبذل جهدًا جهيدًا لتدخل بجانبها من باب "الترام" الضيق، كانت ملابسها السوداء نموذجية لامرأة عجوز فقير، صعدت وأخذت تبحث عن مكان لها فقام لها أحد الشباب كان في آخر العربة، و"هادي" يراقبها من بعيد.

وقبل تحرك القطار صعد رجل خمسيني يرتدي بدلة كحلية مهترئة ويردد بشكل آلي يبوح باحترافه التسوُّل:

- "محتاج أغسل كليتي أسبوعيًّا، ساعدوني جزاكم الله خيرًا"

- "محتاج أغسل كليتي أسبوعيًّا، ساعدوني جزاكم الله خيرًا"

و رغم وضوح تصنعه إلا إنه بدأ في جمع جنيهات من هنا أو هناك، وبدأت تلك الجنيهات في التزاحم بين أصابعه، وعندما مر بجوار المرأة العجوز أخذت تنظر في استكانة وظمأ للجنيهات بين يديه حتى نزل المتسوِّل والترام يهتز منذرًا بالتحرك.

أدار "هادي" وجهه ونظر من النافذة مراقبًا الناس وحركتهم مستعيدًا الذكريات حتى شعر بشخص ما يقعد بجانبه، التفت ليجد امرأة ثلاثينية ممتلئة وإن كانت ليس بالبدينة، فكانت جزوة إثارة، ترتدي بدلة جينز تتكون من سترة وبنطال، ملابسها ضيقة حتى كادت تتفجر عنها، تغزو وجهها الألوان وتظهر من تحت طرحة حجابها خصلة غزيرة من شعر مصبوغ بصبغة صفراء رخيصة، جلست وقد ألصقت فخذها بفخذه فانتقلت حرارة جسمها الدافئ لفخذه، فتفجرت في داخله براكين لم يكن يدرك وجودها، نظر إليها، لم تبادله النظرات ولكنه كان موقنًا أنها تراه، كانت تدرك ما يقاسيه وتستمتع به، ظلت لمحطتين جالسة بجانبه، وهو يسترق النظرات، فيلمح شبح الابتسامات المنتصرة

تطل من بين شفتيها فتسارع بإخفائها، عندما قامت علم أنها تدعوه، قرر أن يتبعها ليقطف زهرة النار، بمجرد أن توقف الترام ونزلت قام ليلحق بها، فاصطدم برجل عجوز، يرتدي جلبابًا أبيض وقبعة مما تقدم كهدايا من العائدين من الحج، نظر له العجوز بحدة قائلًا:

- "انتبه!"

- "آسف لم أرك"

- "هل أنت أعمى؟"

- "قلت لم أرك! "

- "أترفع صوتك عليَّ، إن أباك لم يربك جيدًا"

- "احترم نفسك، أنت رجل كبير"

- "ماذا ستفعل؟! ستضربني؟"

بدأ الترام في التحرك وأغلقت الأبواب، فنظر "هادي" متلهفًا، فوجد المرأة تنظر له من على رصيف المحطة وقد عقدت ساعديها، هزت كتفيها كأنها تقول له "أنت الخاسر، لا أنا".

استشاط غضب "هادي" أكثر ونظر للرجل قائلًا:

- "أيها الـ..."

فإذا بشخص من خلفه يكمم فمه ويردد في أذنه:

- "اهدأ يا كابتن.. لخاطري.. إنه في سن أكبر من أبيك.. لخاطري، لخاطري"

كظم "هادي" غيظه وذهب ليقف بعيدًا وقد ترك مقعده ليبتعد عن الرجل العجوز.

شرد "هادي" مفكرًا:

"ما هذا؟ كنت كصنم في حضرة السمراء الجميلة، لم أتحرك لأقدم لقلبي فرصته الأولى، لم أحاول أن أقتحم قلاع الحب، وكنت صنمًا ولم أساعد العجوز الفقير ولم أهبها ولو جنيهًا واحدًا، لم أتحرك إلا خلف تلك اللعوب، كنت سأتسخ بالوحل لولا....."

ثم نظر للرجل العجوز الذي تشاجر معه طويلًا، حتى وصل الترام إلى محطة اللقاء مع أصحابه، فاتجه هادي نحو خصمه العجوز الجالس، وطبع قبلة طويل على رأسه في تعجب من الرجل.

نزل من الترام يحث خطاه نحو المطعم الذي سيجد فيه أصحابه، فإذا بصوت خلفه

- " هادي!"

التفت ليجده صوت "علاء" ومعه الباقون، نظر له مستفهمًا، فقال "علاء":

- "تصادمنا مع سيارة وتشاجرنا وقمنا بعمل محضر، لذلك تأخرنا كثيرًا"

فقال "هادي":

- "أنتم منحوسون، وماذا سنفعل الآن؟" فأجابه "حسين":

- "سنذهب إلى المطعم أولًا، سنموت جوعًا!"

فتحرك الستة نحو المطعم، خمسة جوعى، وواحدٌ شبعان.

❋ ❋ ❋

"ابن حرام"

جالس على كرسي في غرفة نوم، شعره أسود مشطه على الجانب، في عينيه نظرة محايدة لا توحي بمشاعر، أنفه يكاد يكون أحمر لسبب من السهل استنتاجه، أخذت عيناه تتنقلان بين النظر لها وهي تعدل من زينتها أمام المرآة وبين السرير المبعثر الفرش الذي انتهت عليه منذ دقائق معركة المتعة، لو كان لهذه المعركة منتصر ومهزوم فهي المنتصرة لا جدال، ينظر لصورتها في المرآة، ملامح أوروبية، عيون زرقاء، شعر أصفر، وجه أبيض بدري مستدير مصفر، كأنه سبك الفضة والذهب، كل هذا تصالح مع جسد بضٍّ يصرخ بمصريته، ألقى نظرة لخمس ثوان على السرير، ثم نظر إليها...

- "هالة!..كيف تستطيعين التظاهر بتلك البراءة؟"

نظرت له في المرآة بابتسامة جريئة، ثم التفتت له فإذا بوجهها كأنه وجه عذراء خجول، ومطت شفتها السفلية كالطفل الحزين، لو كان لديه طاقة لقام بجولة أخرى، عادت تكمل زينتها دون تعليق...

- "انتهيت!"

قالتها وهي تلقي نظرة أخيرة على صورتها في المرآة.

أخذت ترتب حقيبتها وتتأكد من تمام محتوياتها، سألته دون أن تلتفت له:

- "هل ستكلمه؟"

- "نعم... اليوم"

- "لن أنسى لك هذا المعروف".

مد يده في جيبه وأخرج كيسًا بلاستيكيًّا صغيرًا جدًّا به كمية من مسحوق أبيض، أشار به إليها متسائلًا:

- "أتريدين؟"

اقتربت منه وهو جالس على كرسيه وقالت:

- "لا.. تعرف أني لا أريده"

- "أنت تعرفين مرادك جيدًا"

- "هذا حقيقي يا مأمون"

قام متثاقلًا، كان مرتديًا ثيابه، بدلة بنية وقميصًا سمنيًّا فاتحًا ولا رابطة عنق، أما هي فترتدي بدلة رمادية ضيقة توحي أنها موظفة

استقبال في أحد الفنادق الكبرى، اتخذت كوفية ولفتها حول عنقها مع غطاء رأس صوفي -لا يستطيع أي شيء إلا أن يجعلها أكثر جمالًا، وارتدى معطفًا أسود لا يتناسق مع لون بدلته البنية إطلاقًا، خرجا من الشقة المفروشة موقع اللقاء الدائم منذ ثلاثة أشهر، وذهب كل في طريقه.

سار "مأمون" في طريق يقصد أحد مسارح وسط البلد على قدميه، كانت السماء توقفت توًّا عن المطر، الناس مختبئون في منازلهم والشوارع شبه خالية، وشحت أعمدة الإنارة في الطريق، فذاب "مأمون" بمعطفه الأسود في لون الأسفلت المبتل، يمشي مطأطئ الرأس يهرول ناظرًا للأرض، واضعًا يديه في جيب معطفه، وصل إلى المسرح فتوقف أمام الباب الأمامي، حملق بعينيه الجاحظتين في اللافتة "مسرحية.... بنجاح كبير" تفتح الستار الساعة التاسعة، دخل إلى المسرح من باب العاملين حسب القواعد، دخل عابرًا خشبة المسرح، رأى المخرج متوترًا، صارخًا بتوجيهاته فيمن حوله، ومساعده يهدئ من انفعال المخرج قائلًا "سيكون كل شيء على ما يرام، لا تقلق"

- "مساء الخير!"

لم يجب تحيته أحد، لا يدري انشغالًا أم استخفافًا، سار بين غرف الممثلين حتى وصل إلى غرفة على بابها ضوء باهر، يضيء كلمة واحدة "المنتج"، المنتج هو "سلمان بك نظيف"، تخصص في إنتاج عروض المسرح متوسطة المستوى لغسل أمواله وأموال غيره، هو من يتحكم بالعرض بنسبة مائة بالمائة بسبب سخائه في أجر كل عناصر العرض المسرحي، هم بالطرق على الباب فإذا به يُفتح وتخرج الممثلة الشابة "سماح"، ابتعدت وهي تغمز لـ"مأمون" برقاعة وهي تلوك علكة بفمها..

- "مساء الخير يا أبي"

- "أهلًا بابن الحرام، هل تعلم أن لولا أن أمك قريبتي لما تزوجتها بعد ما حدث بيننا؟"

- "نعم، أعلم يا أبي!" قالها وخلع معطفه وجلس على كرسي جلدي بني اللون، رأى كأس الخمر في يد أبيه والزجاجة التي كادت تفرغ، فأدرك الموقف الذي طالما تكرر، كان "سلمان بك نظيف" متورد

الوجه بادي الوسامة رغم سني عمره الستين متصابي الملبس يرتدي قميصًا مشجرًا مفتوح الأزرار؛ ليظهر قلادته الذهبية الضخمة.

- "هل ما زالت حية؟"

- "من؟!"

- "أمك يا ابن الحرام"

- "نعم، وتحييك"

- "ظننتها ماتت، وأنت تسرق ما أرسله لها من أموال"

سكت "مأمون" قليلًا وأخذ يفرك يديه طلبًا للتدفئة..

- "أبي.. أريد أن أكلمك في موضوع...."

أشار بيديه أن استرسل، وبدأ في ملء كأسه

- "هناك ممثلة شابة و...."

انفجر "سلمان بك" مقهقهًا وكاد يسقط عن كرسيه

- "اعتقدتك ستطلب أن تدق دقات المسرح كما كنت تطلب منذ زمن.. هل كانت جيدة في الفراش؟"

لم يرد عليه..

- "هل هي جميلة؟"

- "أجمل من سماح"

عبس "سلمان"

- ""سماح" تنام معي لأنها تحتاجني، وعاهرتك تنام معك لأنها تحتاجني أيضًا، أنت لا شيء، ولو استطاعت فتاتك أن تصل إلي، ما نلت منها نظرة واحدة"

- "أنا لا أحبها"

رفع "سلمان" حاجبيه في سخرية

- "فقط أريد أن أعطيها فرصة في العرض المسرحي، أنا أساعدك في كل شيء، لماذا لا تحقق لي هذه الرغبة؟"

- "أنا هنا من يقرر كل شيء، لا أنت ولا المخرج الأحمق ولا أي شخص آخر، هل تفهم أيها الخنزير المدمن؟"

نهض "مأمون" وقد تورم قلبه من تلك الضربات القاسية،

- "انتظر..."

استدار لأبيه فوجده يفتح درج التسريحة بجانبه، ورأى مأمون فيه مسدس والده الذي لا يفارقه وبجانب المسدس رزم الأموال، أخذ أبوه

أحد هذه الرزم ثم ركلها بقدمه كالكرة نحو ابنه فسقطت تحت قدمي الشاب.

- "خذ... اشتر مخدراتك البيضاء، لا أريد خبرًا يقول "ابن يقتل أباه من أجل شراء المخدرات" ثم أدار كرسيه موليًا "مأمون" ظهره، انحنى مأمون ليلتقط المال ووضعه في جيبه، وعينه تنظر لظهر أبيه، ثم أخذ يتقدم نحو أبيه ببطء وما إن اقترب منه حتى أطبق بيديه على عنق المنتج يعتصرها.

- "أتعرف يا "سلمان بك" ليست الأموال فقط هي الدافع لأن يقتل الابن أباه، ربما يقتله فقط لأنه..... ابن حرام"

❋ ❋ ❋

"موعد مع الموت"

في فجر بارد، والشمس لم تدرك بعد أن إشراقها قد حان، إنه ذلك الوقت بين الليل والصبح، طريق "الكورنيش" في الإسكندرية شبه خالٍ، لا ترى فيه إلا بعض الرياضيين الذين يقتنصون ساعات الخلاء للعدو على "الكورنيش"، من بعيد يبدأ ظلان في الظهور، ثم تتضح معالمهما، رجل طاعن في السن، يرتدي معطفًا بنيًّا من الصوف الثقيل، على رأسه قبعة سوداء، ممسكًا في يده عصا يمشي بها تلك الخطوات القصيرة المتعجلة ليقنع نفسه أنه مسرع، يبتلع صوت الموج اليناير الغاضب دقات عصاه المتلاحقة التي تشبه كثيرًا لهاث صاحبها العجوز، في يد العجوز الأخرى حزام جلدي، طرفه في يد الرجل والطرف الآخر في عنق كلب لا يختلف عن صاحبه، فقد أعملت فيه الشيخوخة أنيابها ومخالبها فلم تدع له مهربًا، يسير الرجل فيجد قبالته شابًّا ممتلئًا بالحيوية يهرول وهو يعدل من ملابسه مما جعله لا ينتبه في بادئ الأمر لوقوف

العجوز أمامه، بمجرد أن انتبه اعتذر للرجل بأدب وغير مساره، فأخذ يرميه العجوز بنظرة اشمئزاز وضجر جعلت الشاب المؤدب يضرب كفيه متعجبًا، وصل العجوز إلى مقعد يريده بعينه، جلس عليه فافترش كلبه الأرض تحت قدميه.

- "استمتع، فالموعد غدًا"

قالها العجوز موجهًا كلامه للكلب..

- "لقد عشتَ كثيرًا على كل حال، منذ اشترتك زوجتي -رحمها الله- جروًا صغيرًا، كان هذا منذ خمسة عشر عامًا تقريبًا، كان قد مر عليَّ عام وأنا على المعاش، لقد دللتك كثيرًا، وأوصتني بك قبل موتها، اعتبرتك عوضًا لها عن الحرمان من الولد، كانت طيبة، لكن أخبرني الطبيب أن ذلك أفضل لك، لن تتحمل آلام الأمراض، ذلك رحمة بك صدقني، سلني أنا عن المرض، أنا مثلًا لا أشعر بأصابع قدمي من النقرس، بالإضافة إلى أنني لا أستطيع تحمل كلفة علاجك بعدما خسرنا معاش زوجتي رحمها الله"

مد الرجل يده إلى جيب معطفه الأيمن وأخرج كيسًا من الشطائر وأخذ أحدها وقضم منها قضمتين، نظر إلى الكلب ثم أشار بإصبعه كأنه تذكر شيئًا، فمد يده في جيبه الآخر وأخرج كيسًا من العظم ووضعه أمام كلبه المسكين، أخذ كلاهما يأكل ناظرًا تجاه البحر.

- "قدمي أصابها التنميل من طول الجلوس" قالها وهو يدلك قدميه ليُجري فيها الدماء.

جلس العجوز صامتًا متكئًا على عصاه وهو يرى الشمس تتلصص من مخدعها قبل أن تظهر ببهائها، فجأة وقف الكلب وأخذ ينبح فنهره العجوز بحدة "صه!"، سكت الكلب خانعًا وهو يصدر ما يشبه عواءً منخفض الصوت، أخذ الرجل شهيقًا عميقًا ثم أخرجه قائلًا "هواء البكر شفاءٌ حقًّا، لقد ارتاحت معدتي تمامًا، لا أشعر بأي ألم الآن، لكن الجو بارد جدًّا"

أراد أن يرفع يديه يدفِّئ بهما ذراعيه وكتفيه، لكن يديه لم تطيعاه، انتصب الكلب محملقًا في عين العجوز، نظر العجوز للأفق مذهولًا

مرتعبًا ثم التفت لصاحبه في انكسار قائلا "الآن، كلانا يدرك ما يحدث" بدأ باقي جسم العجوز بالتراخي وأخذت رأسه تتطأطأ في بطء حتى لامست ذقنه صدره، أخذ الكلب يعوي عواء الذئاب وهو يرى الرجل يخرج زفيرًا لم يتبعه شهيق.

❋ ❋ ❋

"الصفقة الرابحة"

بالأمس كنت أتمشى في شارع ".... " في منطقة المعادي، الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وإذا بي أسمع صوت امرأة عجوز تنادي لاهثة "يا ابني..... يا ابني!"

التفتُّ فوجدتها عجوزًا شاحبة، انتقمت من وجهها الأيام فتركت آثارًا لا تزول "جوزي مات.. ومش لاقية تمن الدفنة، اديني أي فلوس، وخد مكانها أي حاجة من اللي معايا.... أنا مش شحاتة"، ثم مدت يديها الممسكة بكيس أسود كبير لأختار منه شيئًا، ظللت أرمقها بوجه جامد لا يوحي بأمل أو يأس، ثم مددت يدي في جيبي وأخرجت ورقة بمائة جنيه وأعطيتها لها، مددت يدي في الكيس دون أن أحيد بنظري عن عينيها وأخرجت كتابًا اصفرت أوراقه كأوراق الخريف، تم ربط صفحاته ببعضها بواسطة خيوط، "دا كتاب..... " لم أمهلها لتكمل فقط أدرت ظهري وانصرفت، هذه اللعوب تعتقد أنها خدعتني وأنا لها خادع وأنها وجدتني وأنا أنتظرها في نفس الشارع يوميًّا منذ شهرين،

تظنني سأعود لهذا الشارع لأبحث عنها لأرد لها كتابها ذا الأهوال الذي لا يمكن التخلص منه، لا، أنا من كان يبحث عن هذا الكتاب، ما لي ومحتويات الكيس الأخرى، سكين ينزف دمًا ثم تكتشف أنها دماء من تكرههم حتى يموتوا بفقر الدم، الساعة التي تهديها لمن تكرهه فتعجل من شيخوخته وتبدأ أعضاؤه في الهرم بمعدل أكبر أربع مرات من المعتاد.

وهذا الكتاب، من الواضح لكم أنها شيطانة شقية تحب ملاعبة البشر، لكن أنا من قرأ عنها وعرف مكان ظهورها، ودأبت على السير في شارعها حتى وجدتني أخذت قراري باختيار هذا الكتاب، فالساعة ستقضي على عدو واحد وأنا لدي أكثر، والسكين ليس يكفي، إنه كتاب التعويذة العظمى الذي سيحولني إلى شيطان سفلي، ويختفي جسدي تاركًا حريقًا، سيتساءل الناس أين ذهبت؟ هل هو احتراق ذاتي مثل الأساطير؟ هل في الأمر سرقة وهروب أو اختلاس؟ ثم سينسون، وتبدأ حفلتي، قريبي الذي أفسد خطبتي، سيرى كابوسًا واحدًا كلما أغمض عينيه، سيصبح نومه قطعة من الجحيم وسأراه وهو يتحول إلى مجنون،

مديري المتكبر وابنته الحسناء المغرورة، سأتحرش بابنتك كلما خلت بنفسها، ستظهر على الشاشات وتدعي زواجها من أحد رجال الجن، وتظل تسعى لعلاجها بين الأطباء والدجالين بلا فائدة.

و جاري الذي كان يسخر من تأتأتي وملابسي مذ كنت طفلًا، كلما قابل شخصًا سأهمس في أذنه بصوت هذا الشخص ليظن أنه يقرأ أفكاره، سأجعله لا يثق حتى في أمه وأبيه، إن هذا الكتاب صفقة رابحة حقًّا، سأبدأ قراءة التعويذة.. لماذا اللغة غير مفهومة؟.. جيد، ها هي بدأت تتضح!.

❋ ❋ ❋

"رشة ملح"

سعيد هو بعمله الجديد، راتبه جيد بالنسبة لخبراته، التزامه نحو نحو أسرته الكبيرة كان يقض مضجعه، يوم استلامه راتب أول شهر كان أول يوم ينام فيه ملء جفنيه، كأنه حاز الدنيا بحذافيرها، مرت عدة أشهر ثم دخل مكتب مديره ليسلم له العمل وهو منتصب الظهر باسم الثغر، استقبله مديره بابتسامة أب وقال له : "اقعد يا أشرف". جلس يفرك كفيه ناظرًا لمديره رافعًا حاجبيه مترقبًا، سأله المدير: "ما اسمي؟" ، ضاقت عينا أشرف وهو يجيب ببطء: "حضرتك أستاذ محمد الصغير رئيسي".

- "هل تستطيع أن تذكر لي أسماء زملائك؟" أجاب "محمد حسن ومصطفى علي ومراد صاموئيل "

- "ما ملاحظتك بالنسبة لأسمائهم؟"

- "كلٌّ يبدأ بحرف "الميم""

- "لكن، أنت تبدأ بحرف الألف!"

- "..؟؟"

- "لذلك يجب عليك الاجتهاد لتصبح جزءًا من منظومتنا، عليك أن تجعل من نفسك رجلًا يبدأ اسمه بحرف الميم"

- "وكيف أجتهد في هذا؟"

- "بسيطة، رشة ملح، فلا تتلف طبخك بسببها، أريدك "مازن"، أحب هذا الاسم"

- "تستطيع أن تدعوني "مازن"!"

- "يا ولدي أريد أن أراك "مازن"، أن أشعر بك هكذا حتى لو دعوتك أشرف.. مفهوم؟"

- "حاضر!!"

عاد إلى منزله وبث همه وحزنه لزوجته

- "حقه!" هكذا علقت زوجته فالتفت إليها بكامل جسمه

- "نعم؟!! أتمزحين؟؟"

- "رغم أن اسمي نجوى؟ أتعامل مع مديري كـ"زينب"، وفي عملي السابق طلبوا مني أن أكون "علا" ففعلت، ما دمت مجتهدًا في عملك، فإن موضوع الاسم مجرد رشة ملح"

- "ملعون الملح، إذن كيف؟؟ أنا "أشرف" كيف أصير "مازن"؟! أنت مجنونة مثله".

يجتهد أشرف في عمله قدر طاقته، ولا يدخر جهدًا، وتظل تلك النظرة اللائمة منحوتة على وجه مديره، فهو يقدم عمله كأشرف، ويتكلم كأشرف، هو أشرف حتى النخاع، أصبح مقيدًا في الإحباط، مُلقى في جُبِّ اليأس، زوجته تبحث على الإنترنت عن مراكز للتدريب والتنمية البشرية تدرب الموظفين ليصبحوا "مازن"، قرأ كتاب "كيف تبدو مازن.. وإن لم تكن" وكتاب "أنت مازن.. صدقني" وذات ليلة قال لزوجته بصوت خفيض:

- "سأجعل المحامي يغير اسمي في البطاقة لمازن"

- "أنت لا تريد أن تستوعب، الموضوع ليس البطاقة، يجب أن يشعر مديرك أنك مازن... تظاهر يا زوجي العزيز"

- "حاولت كثيرًا وفشلت، ما العيب في كوني أشرف، أنا أجتهد في عملي وأخلص...!"

- "كلنا نعلم ذلك، حتى مديرك، ولكن يجب أن تكون كما يريد هو، إياك أن تضيع هذه الوظيفة من يدك، فكر في أبنائنا، لقد مللت من نصحك" وقامت غاضبة.

يستيقظ كل يوم ينظر إلى مرآته ولا يلحظ أي تغير، ما زال أشرف اللعين، ذلك الذي يقف حائلًا بينه وبين النجاح في العمل والهناء في المنزل، هذا الذي يحتل حياته ويحرمه من خيراتها.

يهرع "مراد صاموئيل" إلى مكتب "أ/ محمد الصغير"

- "كارثة يا أستاذ محمد.."

- "ماذا هناك؟ لم أكد أجلس"

- "هناك مصيبة، تعال حضرتك بنفسك!"

يتحرك خلف مرءوسه مسرعًا تجاه مكتب موظفيه القابع آخر ممر طويل، وعندما بدأ يقترب تباطأت خطوات "مراد" وخطواته، فقد بدأت تظهر من أعلى الباب أقدام متدلية، لم يدرك "أ/ محمد" هل هي تتأرجح أو أن الأرض بدأت تميد من تحت أقدامه هو، دخل الغرفة متأملًا الجسم المتدلي من السقف قال وقد تحشرج صوته:

- "اتصلوا بالشرطة".

مرت بضعة أسابيع على انتحار "أشرف" الذي لم يستطع أن يكون "مازن" وبكاه الجميع بصدق، وفي يوم دخل مسئول الموارد البشرية على أستاذ محمد الصغير:

- "صباح الخير يا باشا"

- "صباح النور"

- "بلغني أن سيادتك تطلب موظفًا؟"

- "بلغك؟.. لقد أرسلت لك مذكرة"

- "فعلًا.. فعلًا، أردت أعرف هل نشترط أن يكون اسمه "مازن"؟؟"

نظر له المدير قليلًا ثم أجاب:

" لا.. أهم شيء الكفاءة العلمية والخبرة العملية، أما موضوع "مازن" سيتعلمها مع الوقت.... إنها رشة ملح".

❋ ❋ ❋

"ليلة فرح "

على سرير العرس جالسة تحتضن ركبتيها، ناظرة للأمام محملقة في شيء غير موجود، في هذا الضوء الخافت الذي تسلل من نافذة غرفة الفندق تستطيع أن تدرك جمال تلك الفتاة، ربما تقول إن الضوء المنبعث من جبهتها الناصع يخجل هذا الضوء المتسلل من النافذة، عند تمعنك في عينها تدرك أنها تعرف مقدار جمالها كذلك وتفخر به، ما زالت ترتدي ثوب الزفاف الأبيض مما يدل أن ما بعد الفرح لم يكن المُتَوقَّع، بين فينة وأخرى تلقي نظرة أسرع من نقرة طائر على الرجل النائم بجوارها وقد ولاها ظهره، نائم هو ملء جفونه كطفل بلا ذنب أو خطأ، تبدو جلية -رغم الظلام- البراءة الجبلية في وجهه النائم، لكنه قبيح -على الأقل تراه كذلك- تنظر له تلك الفاتنة وتقول إني أستحق أجمل من هذا الرجل، وتسبح في أفكارها المتلاطمة: كانت خطبة صالونات متعجِّلة مصحوبة بضغوط شتى من أهلها للقبول، خاصة بعد رفضها للكثير من

المتقدمين لعدم كفاءتهم لها ولجمالها، ثم تسلل عدو الفتاة الأول في نعومة وخبث، إنه الزمن، لقد تقدم العمر واقترب فجر العام الثلاثين، فكانت التضحية، واليوم -بعد الحفل الراقص والابتسامة المصطنعة التي ألصقتها بوجهها إلصاقًا- دلفا إلى غرفتهما في الفندق وجاء ليقترب منها، عالجته بكلمات كاللكمات، أخبرته بأنه ليس جميلًا كفاية، عذرٌ تعجب منه الرجل بل دفعه خطوة إلى الوراء ثم نظر إلى الأرض وبدل ثيابه وذهب لينام بغير بنت شفة، تذكرت ذلك ثم اعتلى وجهها شبح ابتسامة، تذكرت وجهه وهو مقبل عليها كطفل صغير مقبل على حلوى ويبدو عليه -يقينًا- أنه لم يذقها من قبل.

كانت تلفت نظرها دومًا تلك التعابير الطفولية التي تعلو وجهه، ونظرته المندهشة دائمًا عندما كان يزورهم في بيتهم في فترة الخطبة الخاطفة، كثيرًا ما تعجبت من امتزاج الطيبة والذكاء في هذا الفتى!، لم يبخل بشيء هل لأنه موسر أم لأنه أحبها؟ لا تدري، ثم اتسعت ابتسامتها وهي تتخيل تحسره على فوات متعة لم يجربها من قبل، وهي

كذلك لم تجربها، ترى هل هي كما تسمع عنها؟؟ لقد تزوجته وانتهى الأمر، قامت من على الفراش ودارت حوله لتقف مقابل وجه زوجها، وأمالت رأسها جهة اليمين ثم جهة اليسار، وفكرت أنه ليس بهذا القبح، اقتربت منه وجلست على ركبتيها فصار وجهها قريبًا من وجهه، وضعت يدها على كتفه تعتصره وهمست في أذنه "يبدو أن لنا من السعادة نصيبًا!!" ففتح عينيه وفيهما تلك النظرة المندهشة.

❋ ❋ ❋

"الجنازة"

يا له من يوم غير مناسب للجنائز، فالقيظ مستبد بالخلق، يقبض بيده القاسية على قلوب الناس، فكأنه يقبض أرواحهم ليلحقهم بهذا الميِّت المُسجى فوق الخشبة، والعرق يتفصَّد على الجباه، والسائرون يجرون الخطى جرًّا، هذه الحرارة العالية قد تكون بشرى غير سارة للزبون، أخذت أتفرس في وجوه الحضور الذين اعتلى العبوس وجوههم، فلا تدري أهذا مما يتذوقونه من الحر المالح؟ أم حزنًا على الميت؟ أم تهيبًا من موت ذاته؟، تفرست فيهم –ويا للعجب- وجدت نفس أنماط البشر الذين تراهم في الأعراس الضاجَّة بالفرح والضحكات، قلما تجد فيهم من أتى محبة في صاحب الحدث، هذا رهط يواسي أحد أقارب الميت من الدرجة الأولى، لا يعنيهم الميت من قريب أو من بعيد، إنه صديقهم وفقط!، يريدونه أن يتعافى سريعًا ؛ فقد اقتربت ساعة "الطلعة" الجديدة، أرى المتأنق المبالغ في تأنقه، يريد أن يظهر مدى أهميته وكيف قد تخلى عن القيام بمهام جسام ليحضر تلك الجنازة اللعينة

فقط لأنه "صاحب واجب"، أرى تلك السيارة تسير في تؤدة وحزن أكثر ممن ابتلعتهم بداخلها، يقود تلك السيارة رجل أربعيني، يجلس إلى جانبه رجل طاعن سبعيني يتكئ بيديه الاثنتين على عصا خشبية، وتبدو للمدقق ابتسامة ساخرة بجانب فمه كأنها تقول "هربت منك مرة أخرى أيها الموت" ثم وكأني أرى الموت يرد على ابتسامته بقهقهة مخيفة، نمر بالجنازة على أقوام جلوس على المقاهي، فمنهم من يقف إجلالًا للموت، ومنهم من يرفع إصبعه في تكاسل، وآخرون لا يشعرون بمرور الجنازة أصلًا، نصل إلى المقابر المكتظة بالأموات والأحياء حتى نصل لمقابر العائلة، ويبدءون في إنزالي بحنو ورقة لم أشهدها في حياتي قط "ربما نسيت أن أخبركم أني الزبون ونجم الحفل.. أنا الميت" لعل الحنو لإدراكهم أنها ليلة عصيبة على أهلها، يبدءون بإهالة التراب عليَّ فتغيب الرؤية تدريجيًّا وأرى حبات التراب تتراكم في عيني، ويحل الظلام، إنها لحظة الحقيقة، لحظة الخوف، ترى هل كانت اختياراتي صحيحة؟ و..... من هذان القادمان من بعيد؟!!

❋ ❋ ❋

"أنا وهو...."

أستيقظ كل يوم مبكرًا، أستيقظ والشمس ما زالت تتثاءب، والصباح يفرك عينيه، لألحق بعملي البعيد في أحد مصانع الملابس الجاهزة، بمجرد استيقاظي أستهل اليوم بالتطلع لوجهه الطفولي البريء، تنظر إليه فترى اللاشرَّ، نعم هكذا هو، قد يجمع الإنسان بين جنبيه الخير والشر، أما هو فيكفيه ذلك الطهر المنبعث من وجهه ضوءًا، ما إن أنظر إليه إلا وأتذكر الصلاة، أهرع إلى لقاء الله لأدعوه وأستودعه تلك الأمانة التي أوكلتها، يبدأ بفتح عينيه الذاهلتين، أدنو منه لأداعبه، ولا أتركه حتى أرى ضحكة فمه الخالي من الأسنان –كم أحب تلك الضحكة المُعدية–.

من أجل تلك الضحكة أذهب لعملي في القيظ أو الزمهرير.

يجب أن أرعاه ولا أدعه محتاجًا لشيءٍ، أليس لهذا خلقنا الله؟ أليس تلك سنته في خلقه وعليها نُسأَل؟

أعد له طعام الإفطار، أبدأ في إطعامه وألاحق بالملعقة فتات الطعام الهارب من جانبي فمه، يأكل بنهم كأنه مدرك أن الوجبة القادمة لن

يأكلها من يدي، أغير له الحفاظ في سرعة ومهارة احترافية اكتسبتها في شهور معدودة، أعد طعام غذائه في عجالة وأرتدي ملابسي وأنا أنظر له في المرآة مبتسمة ومداعبة وهو بين الابتسام لمداعبتي وبين القلق لأني أرتدي ملابسي لأهجره عدة ساعات، أخرج من باب بيتي وأقرع جرس جارتي ربة المنزل "أم الطيِّب" لأوصيها وصاياي اليومية وأتأكد من وجود مفتاح الشقة معها لتستطيع الدخول للاطمئنان عليه وإطعامه طعام الغداء، أنزل إلى الشارع لأقتنص أول حافلة للذهاب لعملي، أقف في الحافلة وأفكر في أمي الراحلة وكم كانت تشقى لنرتاح، ارتقت إلى جوار ربها منذ عام تقريبًا، ولم تمر أشهر معدودات حتى أصاب أبي ما أصابه فصار من مرض جعله كالطفل الصغير، أتركه يوميًّا في رعاية "أم الطيِّب" حتى أعود من العمل يملأ قلبي الشوق لرؤيته والجلوس بجواره ورعايته، فبهذا كما كنا في الدنيا مجتمعين سنجتمع -إن شاء الله- مع أمي في الجنة، أمي وأنا وهو.

❋ ❋ ❋

"الكلمة"

"رشاد بك القصاص"، في بداية العقد السابع هو، اشتعل رأسه شيبًا، نحيف القوام، متوقد النظرات، تم المد له في عمله بعد سن المعاش للحاجة إليه.

كل فينة من الزمن يضطر -مثل زملائه- إلى قول "كلمة" أمام جمع من الناس، رغم تحول هذا الأمر إلى "روتين" بالنسبة للجميع إلا إن الأمر يورثه رهبة ورعدة تسري في جسمه تذكره بخوفه من العفاريت طفلًا.

يجمع أوراقه في حقيبته الجلدية، يسلم على زملائه بهمهمات شبه مفهومة فيردون تحيته وقلوبهم ما بين السخرية والشفقة.

***

يفتح "رشاد بك" باب شقته ويدخل ملقيًا السلام على زوجته والتي هي ابنة عمه، زواج عائلي بأمر من أبيه -رحمه الل - لكنه صار به راضيًا مرضيًا، فهي نعم الزوجة، وأحسنت تربية ابنه المهندس الذي

يعمل في الخليج وابنة صيدلانية متزوجة، بمجرد سماع زوجته له، أسرعت خارج المطبخ لاستقباله والترحيب به، بمجرد رؤيته أدركت "غدًا سيقول الكلمة!، لن يأكل، وا حسرتاه على تعب الطبخ في سني هذه" هكذا فكرت.

كما توقعت الزوجة، أكل بضع لقيمات، ثم قام إلى الشرفة، وجلس على مقعده وأمامه منضدة بلاستيكية عليها منفضة السجائر، استقرت بين أصابعه سيجارة تلو الأخرى وجادت سُحب الذكريات بأمطارها، تذكر عندما كان طفلًا عتاب أمه لأبيه عندما أراد بيع قيراط أرض له وبعد الاتفاق جاء سعر أعلى وكانت حجة لعدم الرجوع في البيع لتعظيم ربحه "لقد أعطيته كلمة!".

تذكر آيات مما حفظ من القرآن "مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة....."، "كبرت كلمة تخرج من أفواههم....."، يعلو في أذنيه صوت الفنان "محمود يس" وهو يقول نص"عبد الرحمن الشرقاوي" الشهير "أتعرف ما معنى الكلمة؟..... هل كان عيسى سوى كلمة."، يتفكَّر كيف أن الله عندما اختار تخليد معجزة إلى يوم البعث اختارها

كلمات أوحى بها قرآنا، كان يستطيع أن يبقى البحر منشقًا منذ موسى عليه السلام مخالفًا قواعد العلم، كيف خفت الكلمات في ميزان البشر وهي ثقيلة في ميزان الله؟، إن الحق كلمة، والباطل كلمة، تدخل دينًا بكلمة، تخرج منه بكلمة، تُستحلُّ الفروج بكلمة، وتَحرُم بكلمة.

يفرك جبهته بيده، ويقر في قلبه اعتقاد بأنه لن يتحمل المزيد، ربما يجب عليه التقاعد، لن يتحمل إلقاء تلك الكلمة الثقيلة مرة أخرى، رغم أنها كلمة حق صادحة.

***

حانت اللحظة في صباح اليوم التالي، يتجه إلى القاعة بخطوات تبدو واثقة لتصم الآذان عن نبضات قلب متهيِّبة، يصحبه زميلاه، يدخل إلى القاعة ويجلس مواجهًا الحضور، يزدرد لعابه دون أن يلاحظ أحد ويقول : "حكمت المحكمة حضوريًا بإحالة أوراق المتهم "...." إلى فضيلة المفتي".

❋ ❋ ❋

"من يصرف العفريت؟"

أعرف "أحمد مجاهد" من الجامعة، أنا صديقه الوحيد، لكنه ليس كذلك بالنسبة لي، إن لي العديد من الأصدقاء، كيف أكتفي به وهو يخرج مرة في الشهر على الأكثر، ويخاطبك تليفونيًّا مرتين في الشهر، لكني كنت مشفقًا عليه لما حكاه لي، لقد نشأ "مجاهد" يتيم الأبوين، يتنقل بين بيوت الأقارب والأباعد بصورة متكررة جعلته يفقد الإحساس بالوطن، فلم يستطع اكتساب مهارات اجتماعية، فكان دائم العزلة، لكنه أمنني وبات يتواصل معي، ويعتبرني صديقه الأوحد، دعاني يومًا إلى منزله -وكنا آن ذاك في الجامعة-، كانت شقة رقيقة الحال ويبدو أنه انتقل إليها للتو، وقال "أخيرًا سأبتعد عن أقاربي الذين يتحملونني كمرض يرجون الشفاء منه، لكن يكفيني أنهم لم يسرقوني، لقد اشتروا لي هذه الشقة بإرثي من أبي، فأنا لم أبلغ سن الرشد بعد، سأعمل مع الدراسة، بالإضافة لمعاش أبي سأصمد" كان فرحًا كطير أطلق من محبسه.

- "مبارك عليك، وأعانك الله"

أراني غرفة نومه، وعندما دخلت الغرفة الثانية عرفت لماذا اشترى له أقرباؤه شقة وحده، لقد وجدت "مبخرة" لامعة يبدو أنها جديدة، لكن الفاضح كان الكتب وعناوينها، تلك الكتب المتراصة على الأرض، "الاستدعاء والمحاورة"، "اللؤلؤ والمرجان في تسخير الجان"، "الجان.. أنواعهم وكيفية السيطرة عليهم"، "التحضير للتحضير" وغيرهم.

لقد اشتروا له هذه خوفًا من ميوله وقراءته في هذا المجال المخيف، أخرجني صوته من جب الفكر المظلم، وقال وهو يربت على المبخرة الجديدة:

- "سأطبق ما قرأت بشكل عملي، أصبحت حرًّا، سأكلم أبويَّ" ثم فقد ابتسامته وسرح بناظريه "وأسخِّر من يساعدني كي لا أحتاج إلى أحد، سأكون سابقًا بخطوة كل من هو أذكى وأفضل مني" ونظر لي ورسم ابتسامته صادقًا "عداك يا صديقي العزيز، أنت إنسان طيب، ووقفت بجانبي دومًا، أنت صديقي الأوحد"

- "لكن، ما تريد أن تفعله..."

- "أرجوك، لا تكمل، أعرف ما تريد قوله، أرجوك"

تركنا الشقة وخرجنا وقد قررت ألا أصبح صديقه بعد اليوم.

مرت بضعة شهور ولم تمر هذه الذكرى بخاطري قط، حتى رنَّ الهاتف وسمعت صوتًا مرهقًا يخاطبني:

- ""أيمن"!... أنا "أحمد مجاهد""

- "أهلًا يا "أحمد"، كيف حالك؟"

- " أنا أحتاجك بشدة، تعال إليَّ في شقتي؟"

- "حاضر... سآتي إليك"

فتح لي "مجاهد" وقد بدا عليه الإرهاق الشديد.

- "ادخل يا أيمن... تفضل"

- "ماذا هناك؟... تبدو مرعبًا"

- "أحتاج إليك!" قالها في وهن.

- "ماذا هناك؟"

- "تعال معي"

اتجهنا نحو غرفة المبخرة الكريهة، وبمجرد دخولي وجدت كلبًا أسود قبيحًا كبير الحجم، مقيدًا بسلسلة حديدية قوية تصلح لتقييد أسد لا كلب.

- "ما هذا؟"

- "عفريت قمت بتحضيره" قالها كأنه يخبرني بحالة الطقس، قلت وقد ارتعدت كل خلية من خلايا جسدي:

- "ماذا؟"

جلس على مقعد في الغرفة وهو شبه مترنح، ثم قال:

- "نعم.... حضرته لخدمتي ولكنه لم يخضع وأراد أن يخرج عن إرادتي، ألقيت عليه كل تعاويذ الصرف، فلم يستجب، ولم أستطع سوى حبسه في صورة الكلب هذه، وإذا حُبس العفريت في صورة، يُحبس في صفاتها، هذه القصة باختصار"

قلت وعيني مثبَّتة على هذا الكلب أو العفريت:

- "وماذا تريد مني؟ ما دوري في هذا الجنون؟"

- "ألست صديقي؟"

- "نعم، لست صديقك!" ثم اتجهت مهرولًا للخروج من الغرفة، فأمسك بي، بل تعلق بي لفرط الوهن الذي يغزو جسمه، وتكلم كأنه يلهث:

- "أيمن! وجود هذا العفريت يمتص طاقتي، يقتلني، يجب صرفه، ساعدني ثم لا تعرفني بعدها، سوف أقلع عن تلك الأمور إلى الأبد، لكن أنا لا أستطيع التحرك وحدي، أرجوك!"

لم أهدأ من توتري إطلاقًا بعد كلامه لكن لا أعرف لماذا استسلمت لإلحاحه.

- "ماذا تريد مني؟؟"

تهللت أساريره، وقال:

- "فقط تأتي معي لأتوكأ عليك، ..... وبعض من دمائك"

- "ماذا؟"

- "كمية قليلة، قطرات فقط، أحتاج دماء اثنين، وها هي كميتي" وأراني أنبوب اختبار مغطًّى، مثل ذلك الخاص بمعامل التحاليل، كانت قطرات قليلة فعلًا، فهان الأمر.

- "وإلى أين تريد أن آخذك؟"

- "للحصول على التعويذة الصفراء، كل ما أعرف فشل معه، ليس أمامي سواها"

- "وما تلك؟"

- "هي تعويذة كُتبت على جلد إنسان، كتبها أحد الشياطين بيده، بمجرد كتابتها جف الجلد واصفرَّ، وحتى تُنسخ يجب أن تنسخها وأنت تقرؤها من نسخة أخرى، يعني أي نسخة حقيقية منها، هي متصلة بالنسخة التي كتبها الشيطان بيده، وبمجرد كتابتها على جلد إنسان يحدث ما حدث للنسخة الأولى من جفاف الجلد واصفراره"

- "وأي خنزير لعين ستجد عنده نسخة؟"

قال وقد صار أوهن منه منذ دقائق:

- "استطعت أن أصل إلى أحدهم، لذلك اتصلت بك لنذهب إليه، هيا"

قام ووضع يده على كتفي وعاونته لنصل إلى الشارع واستوقفنا سيارة أجرة وانطلقنا.

كان منزل هذا الدجال عطن الرائحة، دخلنا إلى حضرته وجلسنا، إذ كان "مجاهد" قد حدد ميعادًا معه عبر الهاتف، كان مغمض العينين مطأطئ الرأس، كان عجوزًا عجوزًا، كأن عمره ألف عام، قبيحًا منفرًا، تملأ البقع وكل الأمراض الجلدية وجهه فتزيدك نفورًا، بالإضافة إلى تلك الرائحة اللعينة، والإضاءة الكئيبة.

جلسنا فسأل دون أن يفتح عينيه بصوت يشبه الصفير المزعج:

- "ماذا تريدون؟"

- "التعويذة الصفراء!"

قالها "مجاهد" وكأنه يريد أن يتخلص من تلك الكلمة.

تسمر هذا الدجال في مكانه لحظات ثم فتح عينيه فإذا به أعور، ونظر إلينا وقال:

- "ولم تريد...؟"

لم يكمل جملته وركز عينه الباصرة الوحيدة على "مجاهد" البادي الهزال، وبدا عليه أنه فهم كل شيء، قام الدجال بجسمه النحيف المحني كأنه علامة استفهام، ووقف أمام "مجاهد" واقترب حتى كادت أنفاهما يتلامسان وقال كأنه فحيح أفعى:

- "هل ستعطيني ما أريد، حتى أعطيك ما تريد؟"

نظر له صاحبي نظرة متحدية -رغم كل ما يعانيه- وأجاب:

- "نعم! سأفعل"

نظر الدجال لي نظرة طويلة، فازداد قبحًا في عيني، ثم عاد إلى مقعده، وقال:

- "يمر أحدكما عليَّ غدًا ليأخذ التعويذة" ورمق "مجاهد" وأضاف:

- "سأحاسبك فيما بعد"

و بينما نحن خارجان من عند هذا الجرذ سمعته يكلم نفسه ويقول:

"من يحضِّر عفريتًا.... يصرفه" ثم انطلق ضاحكًا بصوت عال جعل خوفي يتضاعف كأنه الربا.

واقف أنا الآن في غرفة المبخرة في شقة "مجاهد"، أتحسس الجرح في يدي، ذلك الجرح الذي أخذ منه ما يحتاج من دمي، يتمتم بما لا أفهمه من التعويذة الصفراء التي أحضرتها من عند الدجال، عيني مثبتة على الكلب الأسود الذي بدأ يبدو عليه الإعياء، كذلك أنا رغم أن كمية الدم التي فقدتها قليلة، نظر لي "مجاهد"، وقد بدأ وجهه يتورد، وقال:

- "اذهب والمس الكلب"

- "ماذا؟؟"

أدار وجهه ليكمل تمتمته، فذهبت، لعلها جزء من التعويذة، بمجرد لمسي للكلب حدث شيء مذهل، لقد اتخذ شكل "مجاهد".

- "انظر لقد اتخذ شكلك!"

وأصبت بالدوار وسقطت بجانب الكلب الذي صار "مجاهد"، قام القارئ للتعويذة واقترب مني وأنا ساقط على الأرض وقد بدا عليه العنفوان وهو أيضا يحمل ملامح "صاحبي" وأشار نحو الذي كان مجاهد وقال:

- "هذا "مجاهد" صديقك، وأنا العفريت الذي حضره، كان يرى نفسه غير كفء للحياة والمنافسة، فحضرني لأصنع له تفوقه المُفتَقد، لكن يا للمصادفة، هذا كان نفس شعوري في قبيلتي من الجن، وعندما تعاملت معكم وجدت أن ما لدي يجعلني عظيمًا بجانب قدراتكم التافهة، فقررت البقاء، لكن قبيلتي لن تقبل أن أكمل حياتي بين البشر دون تقديم خدم يخدمون القبيلة بدلًا مني، ولأن قبيلتي عنصرية بعض

الشيء، فطلبت مني اثنين من البشر مقابلي، لكن كان ينقصني شيء واحد، بالإضافة للقليل من دمائكما" أشار إلى الجلد المكتوب عليه التعويذة الصفراء "التعويذة الصفراء... وهي تعويذة فريدة، تستخدم لصرف البشر لا العفاريت" كنت أسمعه ويكاد وعيي يتلاشى، ثم قام واتجه نحو التعويذة ليكمل قراءتها واستطرد:

"مع الأسف ستعانيان كثيرًا، فقبيلتي عنصرية كما أخبرتكما، أما أنا فسأعيش بين البشر عظيمًا متفوقًا" واستمر في قراءة التعويذة وأنا بين النوم واليقظة أشعر أني أنتقل من بعد إلى بعد آخر.

"العاو"

يرن جرس الباب، تهرول السيدة (فاطمة) خارجة من المطبخ لترتدي إسدالها كي تفتح الباب، لا تجد الإسدال كالعادة ما يزيد من توترها؛ فتنهر أبناءها للبحث عنه، يحضره ابنها من تحت الأريكة ببساطة من يعاتبها أنها لم تبحث عنه هناك، تضعه على رأسها وتفتح الباب طالَّة بريبة لتعرف القادم، وتأتيها الإجابة بكلمة واحدة:

- "مكوة!"

فتى (المكوجي) النحيل الأسمر عاد ليسلم ما أخذه من قمصان لربة المنزل طامعًا في جنيه بقشيشًا، تأخذ ما أعطاها وتعد القمصان ثم تفتح الباب.

- "يوجد قميص ناقص!، أعطيتك ستة قمصان وهؤلاء خمسة. اذهب وائت به".

يعود أدراجه مستسلمًا ليُنفذ أمرها لعل الجنيه يصبح اثنين.

تتجه نحو غرفة نومها هي وزوجها لتضع ما في يدها على الفراش انتظارًا لأن يجتمع شملهم مع القميص الغائب ثم ترتبهم في خزانة ملابس أبي العيال.

أغلقت باب الغرفة وتوجهت للمطبخ لتكمل مهمتها الكريهة وهي غسيل الأطباق والأواني "الأواني المتسخة هي الكائن الغير حي الوحيد الذي يتكاثر" هكذا دائمًا كانت تقول.

في اتجاهها للمطبخ رأت أولادها جالسين -شيطانان توأمان في السادسة وساحرة شريرة في الخامسة (جاءت غلطة) تلك العبارة المقدسة-.

ما إن نظرت في أعينهم حتى قرأت المستقبل القريب.. ستنشغل في عملها ويتسلل الشيطانان والساحرة للعبث بقمصان أبيهم وربما ارتدائها.

وزوجها (أ/ سلامة) لن يعود إلا بعد موعد نومهم فاليوم يوم تمرينه مع أصحابه في الجيم، الباب لا مفتاح له ويغلق فقط بترباس من

الداخل، يستخدمون هذا التراس فقط في اللحظات التي تناديه فيها بـ (لُومة) بدلًا من (سلامة).

- "تعالوا."

دعت الأم أولادها ليتحلَّقوا حولها عازمة على أن تسلك درب الحيلة لحماية قمصان زوجها (سلامة) كي لا يغضب؛ فهي مشتاقة لاستخدام اسم (لومة) الليلة.

جلست (فاطمة) وهدأت أنفاسها والأولاد يتطلعون إليها، جميلة رغم الإرهاق الذي أصبح عضوًا من أعضاء جسدها، صهباء، لها ثغر مبتسم صغير، وأعين بينها وبين المها نسب، ملابسها ضاقت عليها، فزادتها إثارة للعين مع إنذار بهجوم غول البدانة القبيح، مما دفعها لبدء نظام غذائي قاس زادها توترًا وعصبية، أورثت ملامحها الجميلة لابنتها (جايدا) وأحد التوأمين غير المتماثلين (زين)، أما التوأم الثاني (علي) فأخذ ملامح والده الأسمر الوسيم.

نظرت في أعينهم بخطورة وقالت :

- "أتعرفون ماذا وجدت في الغرفة وأنا أضع قمصان أبيكم؟"

قال ثلاثتهم بأصوات مختلطة

- "ماذا وجدت؟"

- "العاوّ!"

لم يعد يستخدم هذا اللفظ الذي كان أحد أدوات التربية قديمًا، وفرد من كل أسرة تحتوي طفلًا شيطانيًّا، وكلهم كذلك الآن.

نظر ثلاثتهم لها في استفهام، فأوضحت:

- "العاوّ أسود اللون، أحمر العينين، يحب الظلام، ويعيش فيه، يأكل الناس من بطونهم، لمحته وأنا أضع القمصان، فتركتها وخرجت مسرعة!"

- "لا يوجد (عاوّ)... أنت تقولين هذا لتخيفينا"

قالها (علي) بثبات أعجبها، فأسرته في نفسها ولم تبده لهم.

- "وما أدراك؟"

- "لم أره من قبل"

- "ماذا نتنفس؟"

- "هواء!"

- "هل تراه؟"

لم يرد علي، فنزلت (جايدا) عن صهوة مقعدها، ووقفت بين أخويها وأمها، وقد أعطت ظهرها لأمها ووجهت حديثها للولدين:

- "العاوّ شرير مثل العجوز في فيلم (روبانزل)"

فانتبه التوأمان وأحسوا بخطورة الموقف، فاستكملت الحسناء الصغيرة الشرح:

- "لونه أسود، يختبئ في غرفة ماما"

فقال (زين) بنظرة من قام بحلِّ لغز:

- "لذلك عندما تدخل ماما الغرفة وحدها تبكي؛ لأنها تراه!"

انتهبت الأم لكلماتهم وعادت بظهرها للوراء لتستمع لملاحظاتهم.

قال علي:

- "عندما ذهب جدو عند ربنا، وقالت إنه ذهب لمكان جميل فيه فاكهة حلوة، وألعاب جديدة، وإنها سعيدة لأجله"

نُكزت (فاطمة) نكزة في قلبها الرقيق إذ تذكرت موت أبيها المفاجئ والذي حرمت على إثره من تدليل والدها الذي تفتقده،

وتذكرت بكاءها في ظلام غرفتها بعد نوم أولادها وزوجها، لكن يبدو أن أولادها كانوا يسمعون تلك الأنات والآن وجدوا تفسيرًا؛ لقد كانت تبكي من (العاوّ).

- "أذكر عندما أنقذ (بابا) (ماما) من العاوّ" كلمات من فم (جايدا) أعادت (فاطمة) لأرض الواقع لتتعرف على مغامرة أخرى مع (العاوّ).

أكملت (جايدا):

- "عندما دخلت (ماما) إلى غرفتها وحبسها (العاوّ) وأخذت تبكي حتى اضطر (بابا) لكسر الباب ليضرب (العاوّ)"

تذكرت سبب كسر الباب وعدم تصليحه إلى الآن، زميلة زوجها السخية، فقد أكرمته بصور ملتهبة، وجدتها (فاطمة) في حملة تفتيش روتينية، واجهت بها زوجها فقط بأن ألقت له هاتفه المحمول في حجره ثم التجأت لغرفتها وأغلقت الباب، لحظات مرت عليها دهر تتصارع فيها كرامتها مع قلبها، وكادت الكرامة تنتصر لولا اقتحام الزوج الغرفة، وأغرقها توسلات واعتذارات كابتهالات شيخٍ وترانيم قسيس.

- "أنا شفت (العاوّ)"

قالها (زين) ففغر الحضور أفواههم بما فيهم الأم الشابة.

- "مرة كنت ساخنًا، ورأيته كان مخيفًا" ثم بدأ في بكاء خفيض الصوت تبعه فيه أخوته، وأخذ الكل يردد "لا أريد أن أرى (العاوّ)"

ضمتهم (فاطمة) لتهدِّئ من روعهم، نادمة على إيقاظ تلك المشاعر فيهم ولأن الأمر خرج، وحتى هدءوا وناموا، كانت تتذكر تلك الليلة التي ظنت فيها أن (زين) سيغادر هذه الدنيا بسبب ارتفاع حرارته وعدم استجابته للأدوية وحيرة الأطباء، كانت كل لحظة تمر عليها وعلى الطفل المهلوس من الحرارة هي عام في نار جهنم، لقد كان الموت غرابًا أسود يحلق في سماء الغرفة، حتى قضى الله بالمعجزة.

* * *

دخل الزوج المنزل، فرأى أولاده نائمين في الصالة وزوجته جالسة تحتضن قميصًا وحيدًا.

- "ما هذا؟ أناموا هنا؟! وما هذا بيدك؟"

- "نعم ناموا هنا، وهذا قميص كان قد نسي إحضاره المكوجي مع باقي القمصان"

سألها متعجبًا:

- "لِمَ لمْ تدخليه إلى الغرفة مع باقي القمصان؟"

نظرت له مليًّا، واغرورقت عيناها وحاولت كتم بكائها فانطمست كلماتها وصارت شبه مفهومة وهي تقول:

- "خائفةٌ من العاوّ!"

الفهرس

"هكذا أكتب!!" 5

"القُربان" 8

"الطيف" 22

"الترام" 34

"ابن حرام" 44

"موعد مع الموت" 51

"الصفقة الرابحة" 55

"رشة ملح" 58

"ليلة فرح" 63

"الجنازة"..... 66

"أنا وهو"..... 68

"الكلمة"..... 70

"من يصرف العفريت؟"..... 73

"العاوّ"..... 83

❄ ❄ ❄